كامران نايري:*

الأفكار الاقتصادية والسياسية لتشي جيفارا

ترجمة: مصباح كمال**

شهدت السنوات الأولى للثورة الكوبية، التي سبقت تشكيل الحزب الشيوعي عام ١٩٦٥ ورحيل إرنستو تشي جيفارا في مهمات دولية، تقدمًا اجتماعيًا سريعًا بمشاركة شعبية واهتمام واسع النطاق بالأفكار الاشتراكية. كان لدى إرنست ماندل، زعيم الأممية الرابعة، التي أسسها ليون تروتسكي عام ١٩٣٨، والذي كان يزور كوبا عام ١٩٦٤، "فرصة لتبادل الأفكار مع القادة الكوبيين، وقد أقنعه هذا التبادل تمامًا بأن كوبا 'تشكل ... المعقل الأكثر تقدمًا في البلاد لتحرير العمل والإنسانية... " وذكر ماندل أن "الكلاسيكيات الماركسية تمت دراستها على نطاق واسع في مدارس الكوادر، في الوزارات وخارجها... كان الفصل الذي شاركتُ فيه قد انتهى للتو من المجلد الأول من **رأس المال**، بحضور وزير وثلاثة نواب. ... وكانت دراسة جادة، وحتى تلمودية، دراسة صفحة بعد صفحة..." (Stutje 2009, pp. 149-150).

في البداية، صادرت قيادة كاسترو ممتلكات أنصار باتيستا، الذين فروا من الثورة، وصادرت أكبر الشركات والمنازل المستأجرة، وممتلكات أخرى مهجورة. بعد أن غادر الوزراء البرجوازيون في الحكومة الائتلافية احتجاجًا، أصبح العمال والفلاحون أكثر نضالية، وتزايد الضغط الأمريكي، واتخذت قيادة كاسترو إجراءات أكثر راديكالية، مما أدى إلى عمليات تأميم واسعة النطاق في حزيران وتشرين الأول ١٩٦٠. وبحلول نهاية العام، توقفت عمليًا التجارة مع الولايات المتحدة التي كانت السوق الرئيسية للتصدير والاستيراد. ترأس تشي جيفارا وفداً إلى الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية والصين لإيجاد أسواق جديدة لمحصول التصدير الرئيسي وهو السكر وبدء علاقات تجارية ومالية جديدة. وتم إلغاء جميع أشكال مدفوعات الأرباح والإيجار والفوائد تقريبًا، في حين تم تخفيض إيجارات المساكن ورسوم الكهرباء، وتوسعت الرعاية الصحية المجانية والتعليم. وتم تنظيم وتعبئة مليون كوبي للقضاء على الأمية في كوبا في حملة استمرت عامين وتألفت من ثلاث مراحل في عام ١٩٦٠.

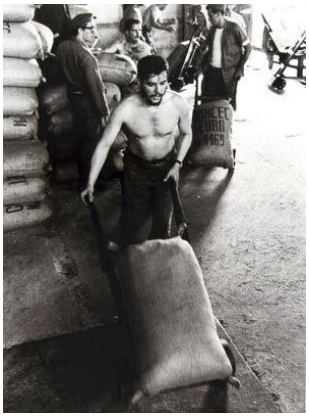

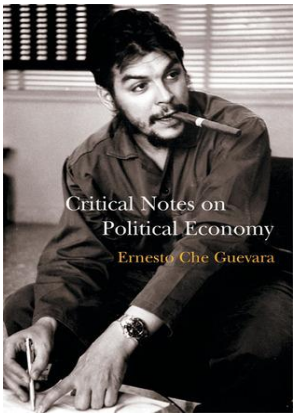

Ernesto Che Guevara doing voluntary work

في عيد العمال عام ١٩٦١، أعلن فيدل كاسترو (١٩٦١) الهدف الاشتراكي للثورة الكوبية. وكانت الجهود السياسية جارية لتوحيد الحزب الاشتراكي الشعبي والمديرية الثورية Revolutionary Directorate وحركة ٢٦ تموز للتقدم نحو الاشتراكية. وصل مستشارون من الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا للمساعدة في إعادة تنظيم الوزارات وإنشاء وكالات جديدة. وتم إنشاء مجلس التخطيط المركزي (JUCEPLAN) وتم تصميمه على غرار GOSPLAN السوفييتي للإشراف على القطاعات المؤممة للاقتصاد. في عام ١٩٦٢، تم تقنين السلع الاستهلاكية الأساسية.

في عام ١٩٦٢، دعت الحكومة الكوبية اقتصاديين يساريين معروفين عالميًا إلى كوبا للانضمام إلى مناقشة حول مشكلة الانتقال إلى الاشتراكية التي كانت قد بدأت للتو في دوائر قيادة الثورة الكوبية (Kapcia 1988; Abert and Hahnel 1981). آنذاك برزت وجهتا نظر متعارضتان، هما وجهة نظر كارلوس رافائيل رودريجيز Carlos Rafael Rodriguez، الذي دافع عن نموذج الاتحاد السوفييتي، وإرنستو تشي جيفارا، الذي قدم وجهة نظر نقدية له.

كان أحد المشـاركين الرئيسـيين هو تشـي جيفارا الذي كان رئيس البنك الوطني وفي الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ كان رئيس دائرة التصـنيع ووزير الصـناعة. افتتح جيفارا النقاش بانتقاد وجهة نظر الاتحاد السـوفييتي للتنمية الاشـتراكية من خلال نشـر مقال في العدد الأول من مجلة **صـناعتنا** Our Industry، مجلة وزارة الصـناعة. في معارضـة نظام التمويل التلقائي السوفيتي (Auto-Finance System AFS) الذي قامت فيه الشركات بتمويل استثماراتها عن طريق الاقتراض من البنوك بفائدة، اقترح جيفارا ما أطلق عليه فيما بعد نظام تمويل الميزانية[١] Budgetary Finance System (BFS)، حيث يتم تمويل الشركات من موازنة الدولة. وكتب ألبرتو مورا Alberto Mora، وزير التجارة الخارجية، ردًا، دون ذكر جيفارا، في مجلة **التجارة الخارجية**، وهي مجلة وزارته، بالإشـارة إلى أن "بعض الرفاق يشـيرون إلى أن نظرية فائض القيمة لماركس لا تعمل في قطاع الدولة في الاقتصـاد الكوبي" (Mora 1963 in Silverman 1973, p. 219).

رداً على الجدل الذي أثاره اقتراحه، كتب جيفارا ردًا مفصـلاً في العدد الثالث من مجلة **صـناعتنا** بعنوان "حول مفهوم القيمة، والرد على بعض المقولات حول هذه القضـية" (Silverman 1973, chapter 10). وقال إن قانون القيمة مشوه بسبب الاختراقات الكبيرة في السوق، مما يستلزم تدخل الدولة لتوجيه الاقتصاد من خلال التخطيط الاقتصادي. وهذا وضعه في صف وزير الخزانة لويس ألفاريز Luis Alvarez، في حين توافق رولاندو دياز ومارتشيلو فرنانديز Rolando Diaz and Marcelo Fernandez مع موقف مورا. على الرغم من أن أيًا من المدافعين عن النموذج السـوفييتي لم يكن من القادة أو الأعضـاء السـابقين في الحزب الاشـتراكي الشـعبي، إلا أنهم كانوا جميعًا يعتمدون على مستشارين من الاتحاد السوفييتي (Taibo II 1997, pp. 366-68).

حول قانون القيمة

إن مسألة قانون القيمة في مرحلة التحول إلى الاشتراكية لها تاريخ طويل. بالنسبة لماركس، فإن المصدران الرئيسيان للاغتراب الاجتماعي social alienation في المجتمع الرأسـمالي هما السـوق والدولة. لقد افترضـت الاشـتراكية اضمحلال withering away كليهما.

لكي نكون واضحين، فإن المقصود بـــ "قانون القيمة" هو نظرية ماركس في قيمة العمل، والتي طورها من خلال الرصد النقدي لنظريات العمل السـابقة حول القيمة في الاقتصـاد السـياسـي الكلاسـيكي بدءًا من ويليام پيتي William Petty (١٦٢٣-١٦٨٧) وانتهاءً مع ديفيد ريكاردو David Ricardo (١٧٧٢-١٨٢٣)، وهي في الوقت نفسه نقد جذري لذلك التقليد الفكري.

لقد خضـعت نظرية قيمة العمل لماركس للجدل والتفسـيرات المختلفة. ومع ذلك، يشـير الماركسـيون إليه باسـم "قانون القيمة."

بالنسـبة لماركس، فإن قيمة السـلعة **في نمط الإنتاج الرأسـمالي** تعبر عن الشـكل التاريخي الذي يتخذه إنفاق قوة العمل الاجتماعي. ومن ثم، فإن القيمة ليسـت علاقة فنية، بل علاقة اجتماعية بين الناس، والتي تتخذ شـكلاً ماديًا معينًا يبدو وكأنه شكل من أشكال الملكية (Mohun 1983). ويضع روبن Rubin الأمر بهذه الطريقة:

> "القيمة هي 'علاقة اجتماعية تؤخذ كشـيء،' علاقة إنتاج بين الناس تأخذ شـكل ملكية الأشـياء. إن علاقات العمل بين منتجي السلع أو العمل الاجتماعي "تتجسد" 'materialized' و"تتبلور" 'crystallized' في قيمة مُنتَج

[١] اعتقد أنه من الأفضـل ترجمة Budgetary Finance System (BFS) التمويل من خلال موازنة الدولة، مع هذا واختصـارًا سـنعمد إلى استخدام 'نظام تمويل الميزانية' مثلما فضلنا استخدام 'الميزانية' بمعنى تحديد الوضع الحالي وتحقيق الأهداف المرسومة من خلال قياس النتائج بدلاً من 'الموازنة' التي تتعلق بالوضع المستقبلي. (المترجم)

العمل. وهذا يعني أن الشـــكل الاجتماعي المحدد لتنظيم العمل يتوافق مع شـــكل اجتماعي معين لمُنتَج العمل (Rubin 1928/1972)."

في مراجعة أســـاســـية لنظرية ماركس، أكد ســـتالين (١٩٥١) أن قانون القيمة يمكن ويجب اســـتخدامه في الانتقال إلى الاشتراكية. يعكس هذا الموقف تحريفية إدوارد برنشتاين Eduard Bernstein (١٨٩٩) التي ادّعت أن قانون القيمة سيوفر انتقالًا سلميًا إلى الاشتراكية من خلال إصلاحات النظام الرأسمالي.

يجب علينا أيضًـا التخلص من وجهة نظر إنجلز (١٨٩٤) المضـللة في "ملحق" المجلد الثالث من كتاب **رأس المال** الذي يوسع قانون ماركس للقيمة ليشمل الإنتاج السلعي البسيط simple commodity production الذي يعود تاريخه إلى آلاف السنين![1] كما هو موضح أعلاه، فإن نظرية قيمة العمل لماركس هي خاصة بنمط الإنتاج الرأسمالي، ومفهوم ماركس للقيمة خاص بهذا السياق التاريخي. في الفصل الأول من المجلد الأول من **رأس المال**، يوضح ماركس أن القيمة التبادلية لســـلعة ما تعتمد على وقت العمل الضـــروري اجتماعيًا socially necessary labour time ، الذي يتم توســـيعه لإنتاج وحدة منها. وكما يوضـــح ماركس، "يتم تعريف وقت العمل الضـــروري اجتماعيًا على أنه وقت العمل اللازم لإنتاج أي قيمة استعمالية في ظل ظروف الإنتاج العادية لأي مجتمع وبمتوسط درجة المهارة وكثافة العمل السائدة في ذلك المجتمع." (Marx, *Capital* Volume 1, chapter 1). لكن هذا يعادل العمل المجرد abstract labour الذي يتشـكل من خلال تبادل السـلع في السـوق الرأسـمالية. وكما قال سـتيدمان (١٩٨٣): "من المفهوم أن موضوع المناقشة هو الاقتصاد الرأسمالي المنتج للسلع، 'المُنسَق' 'coordinated' من خلال **العمل الاجتماعي المجرد** الضـــروري اجتماعيًا... (Steedman 1983)،" وبالتالي، فإن نظرية قيمة العمل لماركس تقتصـــر على نمط الإنتاج الرأسمالي، ومحاولة إنجلز لمنحه إمكانية التطبيق الشامل هي محاولة مضللة.

مفهوم ماركس للاشتراكية

ومن المفيد أيضًا أن نتذكر كيف تصور ماركس الاشتراكية ومشكلة الانتقال إليها. في **البيان الشيوعي** (Marx and Engels 1848)، الذي كتبه ماركس عندما كان عمره ٣٠ عامًا فقط، تصورا [ماركس وإنجلز] ذلك على أنه عملية تقوم فيها البروليتاريا كطبقة "بانتزاع كل رأس المال من البرجوازية بالتدريج" من أجل "مركزة centralize جميع أدوات الإنتاج" في أيدي دولة [العمال]، التي تســـيطر عليها وتســـتخدمها لزيادة إجمالي القوى المنتجة في أســـرع وقت ممكن. ســـتقوم دولة العمال بإلغاء ملكية الأرض، وتأميم ملكية أولئك الذين يهربون من الثورة أو يثورون عليها. وســـيتم نقل المؤســـســـات الأخرى تدريجيًا إلى الدولة العمالية. والهدف هو إنشـاء رابطة للمنتجين تكون فيها "التنمية الحرة لكل فرد شرطًا للتنمية الحرة للجميع."

كما دعم ماركس الخطوات المتخذة في المجتمع الرأسمالي مثل الضرائب التصاعدية، وتأميم المؤسسات والصناعات التي يفضّـل أن تكون تحت سـيطرة العمال، والرعاية الاجتماعية، والرعاية الصـحية الاجتماعية، والتعليم الشـامل المجاني، والأماكن الثقافية المجانية، وأنسنة humanization العمل من خلال تشريعات العمل والرقابة العمالية، التي تساعد في التحضـير للانتقال إلى الاشـتراكية. في الدولة العمالية، سـيتم اسـتبدال الجيش المحترف بميليشـيا الشـعب العامل؛ وسـيتم اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق المساواة للمحرومين، وفي نهاية المطاف المساواة في أوضاع الحياة للجميع.

سيكون مفتاح هذه العملية هو التنظيم الذاتي والنشاط الذاتي للشعب العامل للقضاء على جميع أشكال الاغتراب والتبعية والاستغلال (Marx 1844, 1864; Fromm 1961; Draper 1971).

في نقد برنامج گوتا *Critique of the Gotha Program* (١٨٧٥)، يتصـور ماركس البالغ من العمر ٥٧ عامًا مرحلة دنيا وأعلى للشـيوعية. تبدأ المرحلة الدنيا باسـتيلاء البروليتاريا على سـلطة الدولة (وليس بواسـطة طليعة مثل الحزب أو حركة مغاورين). وفي الوقت نفسه، لا يزال المجتمع الناشئ يفتقر إلى أساسه الاقتصادي. تبدأ المرحلة العليا للشيوعية باختفاء "التبعية الاســـتعبادية للفرد لتقســـيم العمل." في هذه المرحلة يتم توزيع الســـلع والخدمات وفق المبدأ البرجوازي

القائل: "لكل حسب مساهمته/ا" "to each according to his/her contribution." عندما يختفي هذا التقسيم للعمل و"التناقض بين العمل العقلي والعمل الجسدي"، سيتم توزيع السلع والخدمات وفقًا للمبدأ الاشتراكي "لكل حسب حاجته/ا" "to each according to his/her need." وقد حدد معظم الاشتراكيين المرحلة الأولى من الشيوعية بأنها "الاشتراكية".[2]

هكذا تصور ماركس المجتمع الانتقالي الذي يولد من رحم ثورة اشتراكية ناجحة بقيادة البروليتاريا وكيف سيتقدم نحو الاشتراكية.

وكما نعلم، فإن تنبؤات ماركس وإنجلز بأن الثورة الاشتراكية سوف تنتصر في البلدان الرأسمالية الصناعية الأكثر تقدمًا لم تتحقق. وبدلاً من ذلك، وصلت البروليتاريا المُشكَّلة حديثًا والصغيرة نسبيًا في مجتمع يهيمن عليه الفلاحون في روسيا إلى السلطة في ثورة تشرين الأول ١٩١٧. إن استيلاء سوفييتات العمال والفلاحين والجنود على السلطة بقيادة الحزب البلشفي، فتح الطريق أمام الثورة الاشتراكية.

ولكن من المؤسف أن الحرب الأهلية المضادة للثورة التي بدأت في عام ١٩١٨ لم تدمر قدرًا كبيراً من القدرة الإنتاجية المتبقية من أهوال الحرب العالمية الأولى فحسب، بل أهلكت أيضًا قسماً كبيرًا من طليعة الطبقة العاملة. كما أن الثورات الاشتراكية المتوقعة في أوروبا الغربية لم تتحقق. ومع تراجع منظمات الطبقة العاملة وسلطتها، اتخذ لينين والبلاشفة إجراءات متطرفة لمركزة سلطة الدولة في أيدي الحزب. كما منعوا مؤقتًا الأحزاب اليسارية المعارضة وتشكيل التيارات والفصائل السياسية داخل الحزب البلشفي، والتي تعتبر، وفقًا لمفهوم لينين للحزب الطليعي، ضرورية لصحته.

وعلى الرغم من أن البلاشفة انتصروا في الحرب، إلا أنهم خسروا الثورة الاشتراكية بسبب صعود البيروقراطية في الدولة والحزب، مما أدى إلى انتصار الثورة الستالينية المضادة. بعد وفاة لينين في كانون الثاني ١٩٢٤، قام ستالين، الذي كان يعمل لصالح الطبقة البيروقراطية المناهضة للثورة الصاعدة، بتدمير برنامج الحزب البلشفي ومعاييره، والقضاء فعليًا على قادته وكوادره الثورية، وتحويل الأممية الشيوعية التي تم إطلاقها في عام ١٩١٩ لدعم الثورة الاشتراكية العالمية إلى الأدوات الدبلوماسية diplomatic tools المتمثلة في "الاشتراكية في بلد واحد" و"التعايش السلمي" من خلال تطهير الأحزاب الشيوعية من القادة والكوادر الثوريين وذوي العقلية المستقلة.

فالثورات التي أعقبت ذلك في كوريا الشمالية، وشمال فيتنام، والصين، ويوغوسلافيا، وإسقاط علاقات الملكية في دول أوروبا الشرقية التي احتلها الجيش الأحمر في نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت بقيادة أحزاب ستالينية لم تتبع تعاليم ماركس وإنجلز ولينين.

وفي كوبا، استلهمت حركة ٢٦ تموز والمديرية الثورية Revolutionary Directorate من التراث الثوري الكوبي والأمريكي اللاتيني. لسوء الحظ، كما وثقت سابقًا (Nayeri April 19, 2024)، أخطأ فيدل كاسترو، زعيم الثورة بلا منازع، في اعتبار الحزب الثوري الشعبي الستاليني "ماركسيًا لينينيًا"، وبالتالي، الاتحاد السوفييتي باعتباره حامل لواء الاشتراكية منذ عام ١٩١٧. وبعد أن تمكن من دمج حركة ٢٦ تموز والمديرية الثورية مع الحزب الاشتراكي الشعبي في الحزب الشيوعي الجديد عام ١٩٦٥، وقعت تحت التأثير الشديد للستالينية.

المناظرة الكبرى

كانت المناظرة الكبرى ١٩٦٢-١٩٦٥، التذي بدأها إرنستو تشي جيفارا، هي المناقشة السياسية العامة الوحيدة حول الاشتراكية وكيفية الانتقال إليها في كوبا منذ ثورة ١٩٥٩.

أعطى نظام التمويل الذاتي (AFS) المستخدم في الاتحاد السوفييتي حوافز مادية للمديرين ومؤسسات العمال لتشجيع الاستفادة من القدرات العالية، وبالتالي تعزيز النمو الاقتصادي الأسرع. وقد أيدَّ هذا الرأي تشارلس بيتيلهايم Charles

Bettelheim، وهو خبير اقتصادي متمرس كان متحالفًا مع الحزب الشيوعي الفرنسي ومستشارًا للحكومة الكوبية. كتب بيتلهايم:

> ...نظريًا، لا ينبغي تحليل سلوك الرجال — سواء من حيث علاقتهم ببعضهم البعض أو من حيث قيامهم بأدوارهم — وفقًا **للمظاهر**. وهذا يعني أن تغيير هذه المظاهر، خاصة من خلال التعليم، من شأنه أن يغير السلوك نفسه؛ هذه هي النظرة المثالية. بل ينبغي النظر إلى السلوك باعتباره نتيجة لإدخال الإنسان فعليًا في التقسيم الفني والاجتماعي للعمل وفي عملية معينة من الإنتاج وإعادة الإنتاج (التي تعمل أيضًا على إعادة إنتاج احتياجات الإنسان وتغيرها تدريجيًا)، حيث تتحدد العملية نفسها من خلال مستوى القوى المنتجة. إن تحليلاً كهذا يجعل المرء يفهم، بشكل خاص، أن العامل الحاسم في تغيير سلوك الناس يكمن في التغييرات التي تطرأ على الإنتاج وتنظيمه. إن مهمة التعليم الأساسية هي القضاء على المواقف وأنماط السلوك الموروثة، وتعليم معايير السلوك الجديدة التي يفرضها تطور القوى المنتجة. (Bettelheim in Silverman 1971, pp. 32-33, emphasis in original ، التأكيد في النص الأصلي)

ووفقا لهذا الرأي، لا يمكن للاشتراكيين الجدد أن يبرزوا إلا من خلال تطوير القوى الإنتاجية الناجمة عن استخدام قانون القيمة (السوق).

في "معنى التخطيط الاشتراكي، ١٩٦٤/١٩٧١ الفصل الثالث"، دحض جيفارا حجة بيتيلهايم نقطة بنقطة. ومثل ماركس، وضع جيفارا اضمحلال الاغتراب alienation في قلب نظريته حول الانتقال إلى الاشتراكية:

> أنا لست مهتما بالاشتراكية الاقتصادية الجافة. نحن نحارب البؤس، ولكننا نحارب أيضًا الاغتراب. أحد الأهداف الأساسية للماركسية هو إزالة المصلحة، عامل المصلحة الفردية، والاستفادة من الدوافع النفسية للإنسان. لقد كان ماركس منشغلاً بالعوامل الاقتصادية وانعكاساتها على الروح. وإذا لم تكن الشيوعية مهتمة بهذا أيضًا، فقد تكون طريقة لتوزيع البضائع، لكنها لن تكون أبدًا طريقة حياة ثورية. (Quoted in Hollander 1983, p. 224)

بعد نشره **النظرية الاقتصادية الماركسية** (١٩٦٢)، أرسل إرنست ماندل Ernest Mandel نسخة من الكتاب إلى جيفارا عبر السفارة الكوبية في بروكسل. كان ماندل على اتصال غير رسمي مع الثوار الكوبيين من خلال نيلسون زياس پازوس Nelson Zayas Pazos، وهو تروتسكي كوبي ومدرس فرنسي يعمل في وزارة الخارجية الكوبية، ومن خلال هيلدا گاديا Hilda Gadea، زوجة جيفارا السابقة البيروفية والتي كانت متعاطفة مع التروتسكيين. في تشرين الأول ١٩٦٣، أبلغ زياس ماندل عن المناظرة الدائرة بين من أسماهم الخروتشوفيين الستالينين والدائرة المحيطة بتشي (Stuje 2009). في أوائل عام ١٩٦٤، تمت دعوة ماندل لزيارة كوبا. كان تشي قد قرأ **النظرية الاقتصادية الماركسية** ورتب ترجمة أجزاء كبيرة منه إلى الإسبانية. كما قرأها قادة كوبيون آخرون، بما في ذلك الرئيس أوزفالدو دورتيكوس تورادو Osvaldo Dorticós Torrado. عقد ماندل وجيفارا اجتماعا لمدة أربع ساعات. طلب جيفارا من ماندل أن يكتب مقالاً عن قانون القيمة في فترة الانتقال إلى الاشتراكية ونشره في مجلة وزارة الصناعات (Mandel 1963 in Silverman 1971, Chapter 2).

كتب جيفارا عدة مقالات تناقش معنى التخطيط المركزي (Silverman 1971, chapter 3)، وعن نظام تمويل الميزانية (ibid. chapter 5 and chapter 4)، وعن النظام المصرفي والانتماني (المرجع نفسه، الفصل ١٤). وقد تمت مناقشة هذه الأمور بالتفصيل من قبل تابلادا Tablada (١٩٨٧) ويافي Yaffe (٢٠٠٩). سأكتفي بتلخيص جيفارا لنظام تمويل الميزانية BFS لتسليط الضوء على النقطة المركزية فيه.

في الاقتصـــادات الرأســـمالية، يؤثر قانون القيمة على قرارات الاســـتثمار وتخصـــيص allocation قوة العمل عبر الصـناعات والمؤسـسـات من خلال تشـكيل متوسـط معدل الربح، وهي عملية مسـتمرة من التوازن وعدم التوازن. يتدفق رأس المال من الصناعات والشركات التي توفر معدل ربح أقل من المتوسط بينما يتدفق إلى أولئك الذين لديهم معدل ربح أعلى من المتوســـط. إن حركة رأس المال هذه بحثًا عن معدل ربح أعلى تحدد أيضًـــا العرض والطلب على الســـلع والخدمات. فهي تكيّف قرارات الاستهلاك الفردي، ومن هنا جاء مفهوم "الحاجة" "need" الذي لم يتم تناوله نظريًا بما فيه الكفاية في الأدبيات المتعلقة بالانتقال إلى الاشتراكية.

ومع ذلك، بمجرد أن تصبح معظم الصناعات والمؤسسات في أيدي الدولة، سيكون من الممكن تحديد الاستثمار والتوظيف بطريقة لتوجيه التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفقًا لخطة. وحتى بعض الاقتصادات الرأسمالية الصناعية تتبع، إلى حد ما، التخطيط الاقتصـــادي. في نظام تمويل الميزانية BFS، تتم صـــياغة الخطة الاجتماعية والاقتصـــادية على ثلاثة مستويات. يبدأ الأمر بالقرارات السياسية التي تحفز الخطة الاقتصادية الشاملة للتخطيط المركزي JUCEPLAN. تتم مشاركة هذه الخطة الشاملة مع الوزارات ومن خلالها مع المؤسسات ووحدات الإنتاج. ومن ثم يجري تلخيص اعتباراتهم وإرسـالها من خلال الوزارات إلى JUCEPLAN الذي سـيقوم بتعديل الخطة على مسـتوى الاقتصـاد وفقًا لذلك. وبعد ذلك تقوم هذه الوزارات بوضـــع خطط لمشـــاريع محددة والإشـــراف على تنفيذها. ويقوم مجلس التخطيط المركزي JUCEPLAN بالإشـراف على الضـوابط المركزية للاقتصـاد، بمسـاعدة وزارة الخزانة في مسـائل الرقابة المالية، ووزارة العمل في مسائل التخطيط لتخصيص allocation قوة العمل.

إن الفكرة الأساسية في نظام تمويل الميزانية BFS هي أنه خلال عملية الإنتاج بأكملها، تتم إضافة القيمة على التوالي من خلال قوة العمل المسـتخدمة بينما يتم تجنب العلاقات التجارية بين المؤسـسـات. وذلك لأن تبادل الأموال لا يحدث بين الشركات. وتقابلها عقود التوريد وأوامر الشراء على شكل مستندات مرسومة لضمان استيفاء المنشآت لها. إن قبول المُنتَج من قبل المؤسسة المشترية يؤكد جودته. وتتلقى المؤسسات المنتجة طلبًا معادلاً من المؤسسات الأخرى للمواد الخام والآلات وما إلى ذلك. وتصبح البضائع الاستهلاكية سلعة عندما تخضع لتغيير قانوني في الملكية للمستهلكين الأفراد. إن وسائل الإنتاج المستخدمة ليست سلعًا حيث يتم تخصيص قيمة محاسبية لها وفقاً للمؤشرات المقترحة لتكلفة استبدالها. يتم حساب هذه التكلفة من خلال العمل الضروري الموجود فيها. ويتم تطبيق إجراء مماثل على المواد الخام.

يســتهل جيفارا [ما كتبه عن] نظام تمويل الميزانية باقتباس طويل من **مخطوطات ماركس الاقتصـــادية والفلســـفية لعام ١٨٤٤**، والذي يضع بشكل مباشر اضمحلال الاغتراب كهدف للاشتراكية. وفي هذا فإن جيفارا **فريد من نوعه بين قادة الثورات في القرن العشرين الذين ادعوا الاشتراكية كهدف لهم**. السمة المميزة الأخرى لفكرة جيفارا عن الاشتراكية هي وجهة نظره بأن هدف تحقيق الذات والتنمية البشرية هو في الأساس هدف ثقافي وليس مادي:

> الأمر لا يتعلق بعدد كيلوغرامات اللحوم التي يجب على المرء أن يأكلها، أو عدد المرات التي يمكن للشـــخص فيها الذهاب إلى الشاطئ في السنة، أو عدد الأشياء الجميلة من الخارج التي قد يكون بمقدوره شراؤها بالأجور الحالية. إنها مسـألة جعل الفرد يشـعر بأنه أكثر اكتمالاً، مع المزيد من الثروة الداخلية والمزيد من المسـؤولية. (Guevara 1965)

وبالتالي، فإن هدف نظام تمويل الميزانية BFS هو تنمية النسـاء والرجال الاشـتراكيين، وليس الاسـتهلاك المتزايد للسـلع والخدمات كما وعدت الحضارة الرأسمالية.

وفي المقابل، فإن نظام التمويل التلقائي AFS، كما مورس في الاتحاد الســـوفييتي وأوروبا الشـــرقية وتم الترويج له في المناظرة الكبرى، كان مبنيًا على تأسـيس رقابة مالية واسـعة النطاق على أنشـطة الشـركات، حيث كانت البنوك بمثابة وكالات الرقابة الرئيســية. ويتم بعد ذلك اســتخدام إدارة الحوافز المادية والعمال الأفراد أو المصـــنع الجماعي لتعزيز الاســتخدام الأقصـــى للقدرة الإنتاجية لتحقيق نمو أكبر. ويتم ســداد القروض للبنوك مع الفائدة لتســريع معدل الدوران. ويشير جيفارا إلى أنه لا توجد في هذا النظام آلية لتطوير الوعي الاشتراكي.

الديمقراطية الاشتراكية

إحدى القضـايا الرئيسـية المتعلقة ببرنامج جيفارا لنظام تمويل الميزانية BFS على وجه الخصـوص والتخطيط المركزي بشكل عام هي مسألة الديمقراطية الاشتراكية. في رحلته إلى كوبا، "كان ماندل يدعو إلى الديمقراطية الاشتراكية ويحاول إقناع محاوريه الكوبيين بأن المسألة ذات أهمية حيوية. (Toussain 2024).

> يبدأ ماندل بالتسـاؤل: 'لكن ألا تؤدي إمكانية المركزية الكاملة لوسـائل الاسـتثمار على مسـتوى الدولة إلى خطر تفضيل السياسة الاقتصادية ككل للبيروقراطية، كما كان الحال في روسيا الستالينية؟'
> ويجيب على الفور: 'بالطبع. لكن السـبب لا يكمن في المركزية نفسـها؛ بل يكمن في غياب الديمقراطية العمالية على المستوى السياسي الوطني.' (المرجع نفسه).

ثم يقتبس من تروتسكي للمرة الثانية في المقال:

> فقط التنسيق بين العناصر الثلاثة، تخطيط الدولة، والسوق، والديمقراطية السوفييتية، هو الذي يمكن أن يضمن التوجيه الصـحيح للاقتصـاد في فترة التحوّل ويضـمن، ليس إزالة الاختلالات في بضـع سـنوات (وهذا أمر طوباوي)، ولكن التقليل منها وبالتالي تبسـيط أسـس دكتاتورية البروليتاريا إلى أن يأتي الوقت الذي تؤدي فيه الانتصارات الجديدة للثورة إلى توسيع ساحة التخطيط الاشتراكي وإعادة بناء نظامه. (المرجع نفسه)

ومع ذلك، ليس هناك ما يشير إلى أن جيفارا كان مقتنعا بذلك. تخصص يافي Yaffe (٢٠٠٩) الفصل السادس لـ "جعل الإنتاج جماعيًا ومشـاركة العمال." . وتوضـح أن جيفارا كان مهتمًا بمشـكلة مشـاركة العمال في مكان العمل والاقتصـاد بشـكل عام. لقد "قدم جيفارا العديد من السـياسـات داخل وزارة الصـناعة من أجل ' إقامة اتصـال مباشـر مع الجماهير'" لتحقيق "الطاقة الإبداعية لإيجاد حلول لمشـاكل الإنتاج اليومية وتطوير القوى الإنتاجية..." إلخ. ومع ذلك، لا يوجد أي دليل على أية أفكار أو إجراءات لتسهيل ذلك.

إن محاولة كسـب مشـاركة العمال في الإنتاج والمجتمع ليسـت مثل الديمقراطية الاشـتراكية. لم تكن هناك قط ديمقراطية اشـتراكية مؤسـسـية في كوبا، أو هل أن أي شـخص اقترحها الحزب الشـيوعي أصـلاً؟ إن الديمقراطية الاشـتراكية تبدأ بامتلاك الطبقة العاملة للسلطة مباشرة من خلال منظماتها على كل مستوى من مستويات المجتمع.

لقد بدأت الثورة الكوبية وقادتها حركة ٢٦ تموز. لقد كانت إلى حد كبير حركة عصـابات يدعمها الفلاحون وتنتهج برنامجًا ديمقراطيًا وطنيًا، على الرغم من أنها توجت برهان عام [إضـراب عام] عشـية اسـتيلاء حركة ٢٦ تموز على السـلطة. إن حقيقة إعلان فيدل كاسـترو الاشـتراكية كهدف للثورة في الأول من شـباط عام ١٩٦١، لم تجعل منها ثورة اشـتراكية بالمعنى الذي يراه ماركس. وبالمثل، على الرغم من أن الثورات في الصـين وفيتنام وكوريا الشـمالية ويوغوسلافيا، وإسقاط [حقوق] الملكية في أوروبا الشرقية، قد تم تسميتها بـ "الاشتراكية"، فإن البروليتاريا لم تكن تقود أيًا منها قط، ولم تكن البروليتاريا قط في السلطة في أي منها.

إن الديمقراطية الاشـتراكية مدمجة في نظرية ماركس للاشـتراكية. ومع ذلك، فإنه يشـكل مشـكلة بالنسـبة لقادة الحزب الشـيوعي الكوبي، الذين يفضـلون دولة الحزب الواحد التي لا يوجد فيها حتى الحق في تكوين تيارات أو تشـكيل فصـائل. جيفارا لم يتناول هذه المشكلة في أي وقت. إن الاشتراكيين الذين دعموا الثورة الكوبية يتجاهلون هذه المشكلة أيضاً بشكل روتيني.

كتب جيفارا، في مسـاهمته الأخيرة في المناقشـة الكبرى، **الاشـتراكية والإنسـان في كوبا** (١٩٦٥)، في قسـم بعنوان "المشاركة الجماهيرية": "لا يمكن تقدير طريقته الخاصة [فيدل كاسترو] في دمج نفسه مع الشعب إلا من خلال رؤيته في العمل. ففي الاجتماعات الجماهيرية العامة الكبرى، يمكن للمرء أن يلاحظ شيئًا مثل الحوار بين شوكتين رنانتين تتفاعل اهتزازاتهما، منتجة أصواتًا جديدة. وهو يسمي هذا "الوحدة الجدلية بين الفرد والجماهير."

ومع ذلك، فهو يعترف بأن "من الواضح أن هذه الآلية ليست كافية لضمان تواتر سلسلة من التدابير المعقولة. هناك حاجة إلى تواصل أكثر تنظيمًا مع الجماهير، وعلينا تحسينه خلال السنوات المقبلة." ومثل أفكاره الأخرى، لم تتبع القيادة الكوبية هذا الاقتراح قط.

حول حدود قانون القيمة

جيفارا وربما ماندل **ببالغان** في تقدير الحدود Limits التي يمكن وضعها على قانون القيمة من خلال تأميم الصناعات والمؤسسات. ويبدو أن يافي (٢٠٠٩، ص ٥٤) غير مدركة لهذه المشكلة لأنها تكرر موقف جيفارا. كما ذكرنا سابقًا، فضَّل ماركس التأميم كخطوة ضرورية في عملية التنمية الاشتراكية الطويلة. ومع ذلك، فإن تأميم المؤسسات أو الصناعات لا يحدُّ من نطاق عمل قانون القيمة. ولنتأمل هنا ما يلي: في ظل الحكم العسكري القومي لجمال عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠)، تم تأميم قسم كبير من الاقتصاد. في الواقع، في أعلى مستوياته، تم إنتاج ٧٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي من قبل القطاعات المؤممة في الاقتصاد المصري. هل يمكن أن يكون صحيحًا أن قانون القيمة توقف إلى حد كبير عن العمل في مصر خلال تلك الفترة؟ لا أعرف أي ماركسي ادعى ذلك. فهل سيتغير هذا لو كانت قيادة البلاد حكومة اشتراكية؟

المشكلة واضحة في حجة جيفارا الخاصة بنظام تمويل الميزانية BFS. إنه يريد استبدال الوعي البرجوازي بالوعي الاشتراكي لأنه يعتقد أنه ما لم يتم تحقيق ذلك، فإن قانون القيمة يستمر في التأثير على المجتمع. وبالتالي، فإن **التأميم في حد ذاته لا يؤدي إلى تآكل تأثير قانون القيمة ما لم يقترن بالرقابة العمالية والإدارة العمالية كجزء من تطور الديمقراطية الاشتراكية**. لأنه حتى نظام تمويل الميزانية BFS، بدون سيطرة العمال وإدارتهم، لا يؤدي إلا إلى استبدال البيروقراطيين والتكنوقراط بالرأسماليين ومديريهم. وبالتالي فإن هذا من شأنه أن يقوّض هدف جيفارا المتمثل في [خلق] نساء ورجال اشتراكيين جدد. لذلك، فإن شعار تروتسكي المقتبس أعلاه صحيح: "فقط التنسيق بين العناصر الثلاثة، تخطيط الدولة، والسوق، **والديمقراطية السوفيتية**، يمكن أن يضمن التوجيه الصحيح للاقتصاد" في الانتقال إلى الاشتراكية (التأكيد مضاف).

إن الديمقراطية الاشتراكية ليست خيارًا، بل هي حجر الأساس للانتقال إلى الاشتراكية.

التقنيات الرأسمالية والاشتراكية

نقطة ضعف أخرى في نظام تمويل الميزانية BFS الخاص بجيفارا هي قبوله غير النقدي للتكنولوجيات المتقدمة للشركات الأمريكية المؤممة في الإنتاج والإدارة. إذ يعتبر جيفارا هذه التكنولوجيات جزءًا مهمًا من نظام تمويل الميزانية.

لتوضيح المشكلة، من المفيد أن نناقش بإيجاز موقف لينين تجاه الإدارة العلمية (وتسمى أيضًا التايلورية Taylorism). في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، طور فريدريك تايلور سلسلة من التقنيات الإدارية تسمى مجتمعة الإدارة العلمية Scientific Management لزيادة كفاءة الشركات الرأسمالية من خلال منح الإدارة المزيد من السيطرة على عملية العمل labour process. انتقد لينين (١٩١٤) في البداية الإدارة العلمية بسبب إخضاعها للقوى العاملة للرقابة الإدارية. ومع ذلك، في عام ١٩١٨، حثَّ لينين على استخدامه في مؤسسات روسيا السوفيتية. ويجادل أولئك الذين يدافعون عن هذا القرار بأن (١) لينين وصف روسيا السوفييتية بأنها "رأسمالية دولة" في ذلك الوقت و(٢) كانت الشركات يديرها الاشتراكيون ومن أجل التنمية الاشتراكية (Scoville 2002; Wren and Bedeian 2024). ومع ذلك، كما ناقشنا للتو، فإن الديمقراطية الاشتراكية وسيطرة العمال وإدارة المؤسسات والاقتصاد هي مفتاح التنمية الاشتراكية. إن إخضاع العمال للإدارة المعينة من قبل الدولة، وحتى الدولة التي يديرها البلاشفة، لا يغير هذه الحقيقة. وتظهر نفس المشكلة في محاولة جيفارا المزاوجة بين التقنيات التي طورتها الشركات الرأسمالية المتعددة الجنسيات ونظام تمويل الميزانية. ألم ينتقد جيفارا القوى العاملة في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية لاستخدامهم الأدوات الرأسمالية؟

وحتى ماندل تعرض لخطأ مماثل. إذ كتب في المجلد الثاني من كتابه **النظرية الاقتصادية الماركسية**: "إن الثورة الصناعية الثالثة تقوم على إطلاق الطاقة النووية واستخدام الآلات الإلكترونية (Mandel 1962/1968 volume 2 p. 605)." وبطبيعة الحال، كان ماندل على علم بمخاطر الطاقة النووية. وما وجده إيجابيًا في استخدامه على نطاق واسع هو أنه سيعزز الحجة المؤيدة لسيطرة العمال على الصناعة.

في كل حالة، تكمن المشكلة عند لينين، وجيفارا، وماندل، في افتقارهم إلى قطيعة جوهرية مع المفهوم الرأسمالي للتنمية من حيث البنية التحتية التكنولوجية (للاطلاع على مناقشة مفصلة، انظر Nayeri 2023، الفصل ١٩) مقترنًا بإيمانهم بالحزب الطليعي الذي من خلال "دعم الجماهير" يمكنه توفير الضمانة اللازمة للتقدم نحو الاشتراكية.

ومع ذلك، فإن وجهة النظر هذه حول الانتقال إلى الاشتراكية تتعارض بشكل حاد مع المادية التاريخية لماركس، حيث تكون الطبقات موضوعًا للتاريخ، وخاصة الثورة الاشتراكية، التي تتطلب طبقة عاملة واعية ومنظمة ذاتيًا ومعبأة ذاتيًا.

إن تاريخ الثورة الروسية عام ١٩١٧ وتدميرها يدعم رؤية ماركس (انظر تروتسكي ١٩٣٠؛ ميفيل Miéville ٢٠١٧ للتحقق من صحة وجهة نظر ماركس حول الدور الثوري للبروليتاريا في الاستيلاء الاشتراكي الناجح على السلطة؛ انظر تروتسكي ١٩٣٦ لمعرفة أسباب تدميرها).

لا يوجد في نظام تمويل الميزانية لتشي ما يناقش التخلص من البيروقراطية والدولة. في الواقع، في نظرية جيفارا ونموذج التنمية الستاليني، هناك قبول صريح أو ضمني لدولة الحزب الواحد. دعونا نتذكر ما كتبه لينين في شهري آب وأيلول من عام ١٩١٧ في كتابه **الدولة والثورة**. "إن البروليتاريا تحتاج إلى دولة – هذا كل ما يمكن للانتهازيين أن يقولوه لك، لكنهم، الانتهازيين، ينسون أن يضيفوا أن البروليتاريا لا تحتاج إلا إلى دولة تحتضر – أي دولة مبنية بطريقة تجعلها تبدأ على الفور في الاضمحلال ولا يمكنها إلا أن تموت (لينين ١٩١٧).

ومع ذلك، فإن موت الدولة يرتبط ارتباطًا مباشرًا بدرجة سيطرة العمال وإدارتهم للاقتصاد والمجتمع. ومن ثم، هناك حاجة مطلقة لتوسيع مجال الديمقراطية الاشتراكية. وكما نعلم، لم تبدأ الدولة في "الموت" لا في الثورة الروسية ولا في الثورة الكوبية. بل على العكس من ذلك، أصبح الأمر أكثر انتشارًا من أي وقت مضى. لقد تم تعريف دول الحزب الواحد بشكل خاطئ على أنها "اشتراكية"، وهو ما يتناقض مع ماركس ولينين وتروتسكي.

العمل التطوعي والانتقال إلى الاشتراكية

خصص تابلادا Tablada (١٩٨٩) فصلاً كاملاً للعمل التطوعي باعتباره عنصرًا أساسيًا في نظام تمويل الميزانية. تكتب يافي Yaffe أنه في تشرين الأول ١٩٦٣، أنشأ جيفارا الكتيبة الحمراء داخل وزارة الصناعات، والتي كانت تتألف في البداية من عشرة ألوية، كل منها يضم عشرة عمال في الوزارة ملتزمين بما لا يقل عن ٨٠ ساعة من العمل التطوعي في ستة أشهر. بحلول كانون الثاني ١٩٦٤، تضاعف عدد الألوية إلى ٢٠. كان جيفارا نفسه رئيسًا للكتيبة الحمراء. ويقتبس تابلادا من جيفارا الآتي:

> إن الاشتراكية، في هذه المرحلة من بناء الاشتراكية والشيوعية، لا يتم بناؤها لمجرد الحصول على مصانع رائعة. لقد تم بناؤها من أجل الإنسان كله. يجب على الإنسان أن يحوّل نفسه مع تقدم الإنتاج. لن نقوم بعمل مناسب إذا أصبحنا مجرد منتجين للسلع والمواد الخام، دون أن نصبح في نفس الوقت منتجين للإنسان. (Quoted in Tablada 1989, p. 170)

هذا الاقتباس من تابلادا (١٩٨٩) يلخص وجهة نظر جيفارا حول القوة التحويلية للعمل التطوعي في بناء الاشتراكية. ويؤكد فكرة أن الهدف الحقيقي للاشتراكية ليس مجرد خلق الثروة المادية، ولكن تنمية الفرد. والعمل التطوعي، في هذا السياق، ليس مجرد وسيلة إنتاج، بل هو حافز للنمو الشخصي والنهوض بالوعي الاشتراكي.

وفي هذا كان جيفارا يتبع مثال لينين (١٩١٩)، الذي أولى هذه القيمة للعمل التطوعي. يكتب جيفارا: "هدفنا هو أن يشعر الفرد بالحاجة إلى أداء العمل التطوعي بدافع التحفيز الداخلي، وكذلك بسبب الجو الاجتماعي الموجود (المرجع نفسه، ص ١٧٣)."

كتب ماندل (١٩٦٤) أن البشر عاشوا لآلاف السنين في أنظمة اجتماعية واقتصادية حيث تم تربيتنا على خوض صراع فردي من أجل العيش. ولن تموت هذه العادات مع بدء عملية الثورة الاشتراكية. هناك حاجة إلى العمل التربوي؛ وفي هذا السياق، سيلعب العمل التطوعي دورًا مهمًا.

في مؤتمره الثالث في عام ١٩٨٦، وضع الحزب الشيوعي الكوبي العودة إلى العمل التطوعي في قلب جهوده لتصحيح أخطاء ١٤ عامًا من اتباع نموذج التنمية السوفييتي. وكان الجانب الأبرز في هذه الحملة هو المساعدة في تنفيذ برنامج طبيب الأسرة. كانت الفكرة الأساسية لبرنامج طبيب الأسرة بسيطة وثورية: تعيين طبيب رعاية أولية، وممرضة، ومن ثم مساعدًا للعيش مع حوالي ١٥٠ أسرة (حوالي ٦٠٠ إلى ٧٠٠ شخص) ورعايتهم في أحد الأحياء. تم تجنيد متطوعين من الحي لبناء مسكن للطبيب والممرضة، وعند الاقتضاء، مسكن للمساعد ومكتب لهم لاستقبال المرضى. وقدمت الحكومة لفريق المتطوعين مواد وأدوات بناء ومساعدات معمارية وهندسية. وعندما تم تجميع فريق كبير بما فيه الكفاية من المتطوعين، تطوع زملاءهم في أماكن عملهم بدورهم للقيام بمهام زملاء العمل الغائبين عن العمل في مشروع البناء. أدى هذا إلى تحرير طاقم البناء من واجباتهم اليومية لبناء فرق طبيب الأسرة وأماكن المعيشة والمكاتب.

نقد جيفارا "لاشتراكية" الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية

في مناقشة أفكار فيدل كاسترو السياسية، أوضحتُ كيف أنه في عام ٢٠٠٦ كان لا يزال يُعتقد أن الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية اشتراكيان ومتفوقان على الغرب الرأسمالي. وكان لجيفارا وجهة نظر مختلفة تمامًا تجاه هذه البلدان. في نوفمبر ١٩٦٠، قاد مهمة تجارية لمدة شهرين إلى الاتحاد السوفيتي وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والصين وكوريا الشمالية. أثناء وجوده في الاتحاد السوفيتي زار مصنعًا نموذجيًا. وقال لأعضاء وفده: "هذا مصنع رأسمالي مثل المصانع الموجودة في كوبا قبل التأميم (Thaibo II 1997, p. 387)". وأخبرهم أيضًا أن "الاتحاد السوفييتي كان يسير في طريق مسدود اقتصاديًا وكانت البيروقراطية تهيمن عليه (المرجع نفسه)." وفي نفس الوقت كان جيفارا يعتقد أن الاتحاد السوفييتي والكتلة السوفييتية كانا اشتراكيين. ومع ذلك، على الرغم من الموقف الكوبي الحيادي في النزاع بين موسكو وبكين، على عكس كاسترو الذي فضل الاتحاد السوفيتي، كان جيفارا أكثر ارتياحًا مع الصينيين.

في شباط ١٩٦١، أجرى الصحفي ك. س. كارول K. S. Karol مقابلة مع جيفارا. سأله كارول عن كتيبات الدليل "العقائدية" السوفيتية doctrinaire" manuals". رد جيفارا بأنه لا يعرف شيئا عنها (المرجع نفسه ص ٣٣٢). ومع ذلك، في عام ١٩٦٥، كتب جيفارا الخطوط العريضة لنقد الدليل السوفييتي للاقتصاد السياسي *Manual of Political Economy* والذي سأناقشه أدناه. كما أخبر جيفارا كارول أنه لا يوجد خطر من الستالينية في كوبا، وأن كوبا يمكن أن تتعلم من تجربة الكتلة السوفيتية في بناء الاشتراكية. ومع ذلك يضيف كارول:

> لقد أزعج أسلوب تشي المفرط في النقد بعض كوادر البيروقراطية القديمة في الحزب الاشتراكي الشعبي، مثل أنيبال إيسكالانتي Anibal Escalante، وبلاس روكا Blas Roca، لأنه كان لا يمكن السيطرة عليه. كانت هناك حملة ضعيفة ضد تشي على أساس أنه "يساري." وبعد مرور عام، اعترف تشي بأننا نثق بشكل أعمى في السلطة التنظيمية للحزب الاشتراكي الشعبي ... ووضعنا انتقاداتنا [للحزب الاشتراكي الشعبي]... وكان [هذا إيذانًا] بأن وقتًا كئيبًا قد بدأ ". (المرجع نفسه ص ٣٣٣-٣٣٤).

نقد كتاب دليل الاقتصاد السياسي السوفييتي

ناقشت يافي (٢٠٠٩، الفصل ٩) نقد جيفارا لكتاب **دليل الاقتصاد السياسي** السوفيتي (١٩٥٤). على الرغم من أن جيفارا قام في عام ١٩٦٥ "بقطيعة ظاهرية وعلنية مع الثورة الكوبية" من خلال الاستقالة من مناصبه في الحكومة الكوبية

والذهاب إلى الكونغو للمساعدة في دفع الثورة في أفريقيا، "ظل مرتبطًا بشكل وثيق بالثورة الكوبية والتحدي النظري الذي جسدتها (Yaffe 2009, p. 233).

وكتَبَتْ أيضًا أنه قبل مغادرة جيفارا كوبا في عام ١٩٦٥، كتب رسالة إلى فيدل كاسترو "يوضح فيها مخاوفه والاختلافات مع الاقتصاد السياسي السوفييتي (المرجع نفسه، ص ٢٣٦)." بين عامي ١٩٦٥-١٩٦٧، قدم جيفارا "مساهمته الأكثر أهمية في النظرية الاشتراكية من خلال ملاحظاته النقدية حول **دليل الاقتصاد السياسي** السوفيتي (المرجع نفسه، ص ٢٣٣)."

وتضيف يافي أيضًا:

> "تم تهريب هذه الملاحظات إلى كوبا عن طريق Aleida March، زوجة جيفارا ... والتي نقلتها إلى أورلاندو بوريغو دياز Orlando Borrego Diaz، نائب جيفارا الشاب منذ أيام [الاستيلاء على قلعة] لا كابانا La Cabana في كانون الثاني ١٩٥٩. لمدة ٤٠ عامًا، احتفظ بها بوريغو تحت القفل والمفتاح، بعيدًا عن أنظار العلماء والقادة السياسيين والمؤرخين والعسكريين على حد سواء. (المرجع نفسه)

من وجهة نظرها، كانت هذه الملاحظات بمثابة بداية لمشروع نظري من شأنه أن "يتحدى مكانة سلطة الاتحاد السوفييتي، ويقدم نموذجًا بديلاً للانتقال إلى الاشتراكية (المرجع نفسه)."

ومن الغريب أن يافي لم تناقش سبب ضرورة تهريب ملاحظات جيفارا النقدية إلى كوبا ولماذا تم الاحتفاظ بها تحت القفل والمفتاح لمدة ٤٠ عامًا. لماذا لم يتم إرسالها إلى فيدل كاسترو؟ هل كان ذلك ربما يعود لتأثير الستالينية على الحكومة الكوبية؟

هناك مشكلتان مهمتان ومترابطتان في كتاب يافي. أولاً، على الرغم من أنها تستخدم الكلمات الرئيسية "الاشتراكية" و"الماركسية"، إلا أنها لم تحدد أبدًا ما هي "الماركسية" أو تقدم مناقشة لوجهة نظر ماركس للاشتراكية والمخطط العام لكيفية الوصول إلى هناك. وهي تشير إلى دول الكتلة السوفييتية على أنها "اشتراكية" دون أن توضح ما الذي يجعلها "اشتراكية؟" لا يوجد أي نقاش حول تاريخ "الاشتراكية" في الاتحاد السوفييتي، بما في ذلك صعود الستالينية، إلا من خلال جزء من الأفكار التي قدمها جيفارا، والتي، كما سأبين، غير كافية.

كما أنها لا تقدم أي مناقشة لتأثير الستالينية في كوبا سواء في الحزب الشيوعي الأصلي الذي سقط في يد الستالينية وأعيد تسميته بالحزب الاشتراكي الشعبي في عام ١٩٤٤، أو الحزب الشيوعي الذي ساعد فيدل كاسترو في تأسيسه في عام ١٩٦٥، والذي كما نعرفه الآن (Nayeri April 19, 2024) كان تحت تأثير الستالينية. لماذا كان جيفارا "الأكثر انزعاجاً" من "غياب منتدى للنقاش الدولي حول الاقتصاد السياسي للانتقال إلى الاشتراكية" (Yaffe 2009, p. 234)؟ في الفصل العاشر، المخصص لإرث جيفارا في كوبا، تشير يافي إلى أن بعض أفكار جيفارا حصلت على بعض الاهتمام في كوبا. ومع ذلك، فهي تعترف بأن «مقترحات جيفارا لم تحظ بالإجماع داخل كوبا قط. وفي حين يتفق أغلب الزعماء الكوبيين من الناحية النظرية مع نهجه في التعامل مع البناء الاشتراكي، فقد زعم كثيرون أن الظروف لم تكن ناضجة لتنفيذه. (المرجع نفسه ص ٢٦٣).

يبدأ نقد جيفارا كما توضحه يافي بسوء فهمه، والذي لم تشر إليه يافي حول **نقد برنامج غوتا** لماركس. وفقًا ليافي، يعتقد جيفارا أن ماركس "وصف الاشتراكية بأنها الفترة التي تم فيها منع سلسلة من فئات السلع (المرجع نفسه). ومع ذلك، فإن وجهة نظر ماركس للانتقال هي اضمحلال عملية الاغتراب، ولا سيما فيما يتعلق بالسوق والدولة.
وفيما يلي جوهر انتقاد جيفارا:

> في حين ادعى السوفييت والتشيك أنهم تجاوزوا هذه المرحلة الأولى [الاشتراكية]، من وجهة نظر جيفارا، كان ذلك كاذبًا من الناحية الموضوعية بسبب استمرار وجود الملكية الخاصة في كلا البلدين. وقال جيفارا إن الخطأ هو أن الاقتصاد السياسي الجديد لم يكتمل بعد، ولم تتم دراسة العملية بعد. ونتيجة لذلك، تم تقديم أعمال الاتحاد السوفييتي على أنها القوانين المفترضة للمجتمع الاشتراكي. (Yaffe 2009, p. 236)

في حين أن جيفارا مدرك لانتقاد "الاشـــتراكية" في دول الكتلة الســـوفيتية، إلا أنه يخلط بين التفكير الأيديولوجي وبين العملية الفعلية لانحطاط الثورة الاشتراكية في روسيا السوفيتية الفتية. بالنسبة لجيفارا المشكلة تكمن في **دليل الاقتصاد السياسي** (Economics Institute of the Academy of Sciences of the U.S.S.R. 1954) والذي قال إنه وضع نظرية للسياسة الاقتصادية الجديدة (NEP).

وكما نعلم، فقد تم كتابة **الدليل** بناءً على أوامر من ستالين لتنظير الاتحاد السوفييتي تحت حكمه باعتباره اشتراكيًا. وهذا لن يجعل **الدليل** سببًا لعدم كون الاتحاد السوفييتي اشتراكيًا. وبدلاً من ذلك، ينبغي أن يشير إلى أن الاتحاد السوفييتي لم يكن اشتراكيا لأن **الدليل** صدر بأمر من النظام الاستبدادي الستاليني الذي حكم الاتحاد السوفييتي والذي عزز سلطته بقوة الشـعب العامل منذ فترة طويلة! إن التحليل الماركسـي يطرح سـؤالاً حول كيف أصـبح سـتالين الحاكم المطلق للاتحاد السوفييتي بعد وفاة لينين في عام ١٩٢٤.

كيف خسر البلاشفة الثورة الاشتراكية

في "المهام العاجلة للحكومة السوفيتية" (Lenin March-April 1918)، كتب لينين:

> ولكن في كل ثورة اشـتراكية – وبالتالي في الثورة الاشـتراكية في روسـيا التي بدأناها في ٢٥ تشـرين الأول ١٩١٧ – فإن المهمة الرئيسـية للبروليتاريا والفلاحين الفقراء الذين تقودهم، هي العمل الإيجابي أو البناء لإقامة نظام ديمقراطي. نظام معقد وحســـاس للغاية من العلاقات التنظيمية الجديدة التي تمتد إلى الإنتاج والتوزيع المخطط للسـلع اللازمة لبقاء عشـرات الملايين من الناس. لا يمكن تنفيذ مثل هذه الثورة بنجاح إلا إذا انخرطت غالبية السـكان، وفي المقام الأول غالبية الطبقة العاملة، في عمل إبداعي مسـتقل كصُـناع للتاريخ. فقط إذا أظهرت البروليتاريا والفلاحين الفقراء ما يكفي من الوعي الطبقي، والإخلاص للمبادئ، والتضـحية بالنفس، والمثابرة، عندها فقط سـيتم ضـمان انتصـار الثورة الاشـتراكية. ومن خلال خلق دولة سـوفييتية جديدة، تمنح الشـعب الكادح والمضـطهد الفرصـة للقيام بدور نشـط في البناء المسـتقل لمجتمع جديد، لم نتمكن من حل سـوى جزء صـغير من هذه المشـكلة الصـعبة. تكمن الصـعوبة الرئيسـية في المجال الاقتصـادي، أي إدخال المحاسـبة والرقابة الصـــارمة والعالمية على إنتاج وتوزيع الســـلع، ورفع إنتاجية العمل وجعل الإنتاج اشـــتراكيًا socializing في الممارسة العملية. (لينين، آذار - نيسان ١٩١٨.)

وهكذا، لم يكن لينين يفضل "القمع" الفوري للعلاقات السلعية، لكنه كان متوافقًا مع وجهة نظر ماركس وكان يفضل عملية تدريجية تتماشى مع تطور قوة العمال للسيطرة على الاقتصاد وإدارته بأنفسهم. وهكذا يؤكد على الديمقراطية الاشتراكية:

> إن الطابع الاشتراكي للديمقراطية السوفييتية، أي الديمقراطية البروليتارية، كما يتم تطبيقها بشكل ملموس اليوم، يكمن أولاً في حقيقة أن الناخبين هم الشـعب الكادح والمسـتغل؛ والبرجوازية مسـتبعدة. ثانياً، يكمن في حقيقة إلغاء كافة الإجراءات البيروقراطية والقيود المفروضـة على الانتخابات؛ ويحدد الشعب بنفسـه ترتيب الانتخابات ومواعدها، وله كامل الحرية في عزل أي شـخص منتخب. ثالثا، يكمن في خلق أفضـل منظمة جماهيرية لطليعة الشـعب العامل، أي البروليتاريا المنخرطة في الصـناعة واسـعة النطاق، والتي تُمكّنها من قيادة الجماهير الغفيرة من المسـتغَلين، وجذبهم إلى الحياة السـياسـية المسـتقلة. وتثقيفهم سـياسـيًا من خلال تجربتهم الخاصـة؛ ولذلك، ولأول مرة، يبدأ جميع السكان في تعلم فن الإدارة، والبدء بالإدارة. (لينين مارس-أبريل ١٩١٨.)

ولكن للأسف، تدخلت الحرب الأهلية واضطر البلاشفة إلى تبني سياسات شيوعية الحرب War Communism التي استمرت من حزيران ١٩١٨ إلى مارس ١٩٢١. وكانت السمات الرئيسية لهذه السياسة هي مصادرة الأعمال الخاصة وتأميم الصناعة في جميع أنحاء روسيا السوفيتية والمصادرة القسرية لفائض الحبوب وغيرها من المنتجات الغذائية من الفلاحين من قبل الدولة.

في رأي لينين نفسه، لم تكن المشكلة في السياسة الاقتصادية الجديدة، بل في التقييم الخاطئ للوضع السياسي الذي منع "البناء السلمي" للاشتراكية.

"في بداية عام ١٩١٨، توقعنا فترة يمكن فيها البناء السلمي. عندما تم التوقيع على سلام بريست [معاهدة بريست ليتوفسك Treaty of Brest-Litovsk] بدا أن الخطر قد تراجع لبعض الوقت وأنه سيكون من الممكن البدء في البناء السلمي. ولكننا كنا مخطئين، لأنه في عام ١٩١٨ اجتاحنا خطر عسكري حقيقي يتمثل في التمرد التشيكوسلوفاكي واندلاع الحرب الأهلية، التي استمرت حتى عام ١٩٢٠. ويرجع ذلك جزئيًا إلى مشاكل الحرب التي أرهقتنا وجزئيًا إلى الموقف اليائس التي وجدت الجمهورية نفسها فيها عندما انتهت الحرب الإمبريالية – بسبب هذه الظروف، وعدد من الظروف الأخرى، ارتكبنا خطأ اتخاذ قرار بالانتقال مباشرة إلى الإنتاج والتوزيع الشيوعي. (لينين ١٩٢١.)

أدت شيوعية الحرب إلى تضييق الدعم الجماهيري للبلاشفة مع تحول الأحزاب اليسارية تدريجياً إلى المعارضة. في الوقت نفسه، كانت الديمقراطية الاشتراكية محدودة بسبب مركزية السلطة في أيدي الحزب البلشفي.

في البداية، تم تقاسم السلطة السياسية بعد ثورة تشرين الأول ١٩١٧ بين الحزب البلشفي والاشتراكيين الثوريين اليساريين الذين حصلوا على معظم المندوبين في السوفيتات مما سمح بالاستيلاء على السلطة السياسية. وفي الوقت نفسه، صوتت اللجنة المركزية البلشفية على منع المناشفة والاشتراكيين الثوريين من المشاركة في الحكومة. ومع ذلك، ظهرت خلافات داخل الحزب البلشفي نفسه عندما تولى واجبات حكومية حول نطاق تدخل الدولة في الاقتصاد، والموقف من حق القوميات المضطهدة في تقرير مصيرها، والموقف من استخدام المتخصصين "البرجوازيين"، والفروق في الأجور. في ذروة نزاع بريست ليتوفسك، قرر منتقدو لينين المعروفون بالشيوعيين اليساريين بقيادة بوخارين Bukharin عدم المشاركة في اللجنة المركزية ومجلس مفوضي الشعب (سوفناركوم Sovnarkom) بعد أن لم تكتسب حججهم السياسية زخمًا. في تموز ١٩١٨، نظم الاشتراكيون الثوريون اليساريون الذين شاركوا في سوفناركوم حملة مسلحة ضد البلاشفة بعد بعض الخلافات. بدأت شيوعية الحرب بقرار تبني "ديكتاتورية الغذاء" بعد استقلال أوكرانيا كجزء من معاهدة بريست ليتوفسك. أشار لينين نفسه إلى تغيير في قراره السابق بوتيرة معتدلة للسياسة الاقتصادية لدعم عمليات التأميم على نطاق واسع. ومن الناحية العملية، أصبحت روسيا السوفييتية دولة الحزب الواحد. لقد جعلت الحرب الأهلية ذلك ضرورة. في البداية، تصور القادة البلاشفة دور حزبهم في وضع السياسة بخطوط عريضة وجعل ممثليهم في المؤسسات الحكومية يعملون على اعتمادها وتنفيذها. في النصف الثاني من عام ١٩١٨ وأوائل عام ١٩١٩، قررت القيادة البلشفية أن وجود وكالة عليا للدولة لاتخاذ مثل هذه القرارات أمر ضروري وأن الحزب نفسه يجب أن يكون مثل هذه المؤسسة. ولجميع الأغراض العملية، كانت الحكومة (مجلس مفوضي الشعب) تحت قيادة البلاشفة.

كما تغير التركيب الطبقي للحزب (Service 1997). بعد ثورة شباط ١٩١٧، تسارعت وتيرة التجنيد في الحزب في الغالب من الطبقة العاملة. في ثورة تشرين الأول، كان ثلاثة أخماس الحزب البلشفي من القوى العاملة الصناعية. بعد الاستيلاء على السلطة، تضخمت عضوية الحزب إلى ٣٠٠ ألف عضو بحلول نهاية عام ١٩١٧. ومع ذلك، عانى التكوين البروليتاري للحزب. بعد عام ١٩٢١، كان ٤٤٪ فقط من أعضاء الحزب من خلفية الطبقة العاملة.

وباعتباره حزبًا حاكمًا، انضم إليه البعض للدفاع عن روسيا الأم ضد العدوان الأجنبي. وانضم إليه آخرون للمساعدة في تشكيل مستقبل روسيا. ومع ذلك، تقدم آخرون لعضوية الحزب من أجل التقدم الشخصي والمزايا الاجتماعية. في ١٩١٩-١٩٢٠، كان معظم البلاشفة في القوات المسلحة. حل المجلس العسكري الثوري غير الحزبي برئاسة تروتسكي محل التسلسل الهرمي للحزب المنتخب. وكانت هناك اعتراضات على هذه التغييرات من قبل سلسلة من جماعات المعارضة الحزبية الداخلية. ستالين، الذي انتقد إدارة تروتسكي للجيش الأحمر، كان يدير المعارضة العسكرية من الخطوط الجانبية. كانت المعارضة الأقوى هي المركزيون الديمقراطيون Democratic Centralists بقيادة تي في سابرونوف T. V. Sapronov و ن. أوسينسكي N. Osinskii الذين جادلوا بأن مركزية الحزب يجب أن تكون متوازنة مع مناقشات جماعية أكثر اتساعًا. طالبت المعارضة العمالية برئاسة ألكسندر سليابنيكوف Alexsandr Sliapnikov، وألكسندرا كولينتاي Alexandra Kollentai، وإس بي ميدفيديف S. P. Medvdev بإشراك العمال والفلاحين في صنع السياسات الحكومية التي يضعها الحزب الآن. وطالبوا بأن يتقاسم الحزب السلطة مع السوفييت والنقابات العمالية.

وعلى الرغم من الاعتراف بين الحين والآخر بمظالمهم، ظل جهاز الحزب المركزي واثقًا من أنه يتصـــرف بما يخدم مصلحة الثورة في ظل هذه الظروف.

حتى لينين وتروتسـكي واجها في بعض الأحيان معارضــة من الجهاز المركزي للحزب، حيث رفض المكتب السـياسـي اقتراح تروتسكي بتعديل السياسات الزراعية الرسمية في شباط ١٩٢٠. وفي كانون الأول ١٩٢٠، تم رفض اقتراح لينين إلى المؤتمر الثامن للسـوفيتات بتقديم حوافز مادية للزراعة الفلاحية. وأخيرًا، وافق المكتب السـياسـي في شـباط/شـباط ٢٠٢١، ثم مؤتمر الحزب العاشر في مارس/آذار، على الضريبة المتدرجة العينية على مستوى أدنى من مشتريات الدولة.

في آذار ١٩٢١، قدم لينين قرارًا إلى المؤتمر العاشـر بعنوان "حول الانحراف النقابي والفوضـوي في حزبنا" أعقبه قرار آخر بعنوان "حول وحدة الحزب" يحظر الفصائل factions. ويؤكد في القرار السابق ما يلي:

> إن الماركســية تُعلّم، وهذا المبدأ لم يتم اعتماده رســميًا من قبل الأممية الشــيوعية بأكملها في قرارات المؤتمر الثاني (١٩٢٠) للكومنترن حول دور حزب البروليتاريا السياسي فحسب، بل تم تأكيده أيضًا في أن ما تمارسه ثورتنا هو أن الحزب السياسي للطبقة العاملة، أي الحزب الشيوعي، هو وحده القادر على توحيد وتدريب وتنظيم طليعة البروليتاريا وجماهير العمال التي وحدها ستكون قادرة على الصـمود. التذبذبات البرجوازية الصـغيرة الحتمية لهذه الجماهير، والتقاليد والانتكاســات الحتمية للنقابات الحرفية الضــيقة أو التحيزات الحرفية بين البروليتاريا، وتوجيه جميع الأنشطة الموحدة للبروليتاريا بأكملها، أي قيادتها سياسيًا ومن خلالها جموع الشعب العامل. وبدون هذا تكون دكتاتورية البروليتاريا مستحيلة. (لينين ١٣ آذار ١٩٢١).

في تأكيده على أن الحزب الطليعي ضــروري لتشــكيل طليعة الطبقة العاملة و"ديكتاتورية البروليتاريا"، كان لينين يكرر فقط المراجعة التي أجراها على نظرية ماركس حول البروليتاريا والثورة الاشــتراكية في كراســته **ما العمل؟** (لينين ١٩٠٢) بالادعاء بضـرورة قيام الحزب الطليعي بقيادة البروليتاريا نحو الاشـتراكية. وفي هذا القرار يقدم لينين مراجعته على أنها "ماركسية" كما أقرها المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية!

وأتبع هذا القرار الذي وصف خصومه بالنقابيين السنديكاليين syndicalists والفوضويين وأكد على أن اللجنة المركزية للحزب البلشفي هي الوصي على صحة الثورة الاشتراكية مع قرار بحظر الفصائل.

> يأمر الكونغرس بالحل الفوري، دون اسـتثناء، لجميع المجموعات التي تم تشـكيلها على أسـاس برنامج أو آخر، ويأمر جميع المنظمات بأن تكون صـارمة للغاية في ضـمان عدم التسـامح مع أي مظاهر للانقسـام من أي نوع. إن عـدم الامتثـال لقرار الكونغرس هـذا يعني الطرد غير المشــروط والفوري من الحزب. (لينين ١٦ آذار ١٩٢١).

قاد لينين الكثير من أعمال المؤتمر العاشــر: ألقى خطابي الافتتاح والختام وقدم تقارير عن النشــاط الســياســي للجنة المركزية، واستبدال الضريبة العينية بنظام استملاك الفائض surplus appropriation system ، ووحدة الحزب والانحراف الفوضـوي-السـنديكالي والنقابات العمالية وأزمة الوقود. وقام بصـياغة القرارات الرئيسـية. وقدم إثباتًا نظريًا وسـياسـيًا لضـرورة الانتقال من شـيوعية الحرب إلى السـياسـة الاقتصـادية الجديدة (NEP). اعتمد الكونغرس اسـتبدال الضـريبة العينية بنظام اسـتملاك الفائض، والانتقال إلى السـياسـة الاقتصـادية الجديدة، التي كانت مصـممة لجذب ملايين الفلاحين إلى تنظيم الاقتصاد الاشتراكي المخطط.

وهكذا، بحلول عام ١٩٢١، أصـبحت الدولة العمالية التي نشـأت على أسـاس سـلطة سـوفيتات نواب العمال والفلاحين والجنود، دولة يحكمها الحزب البلشـفي برئاسـة اللجنة المركزية التي يهيمن عليها لينين. كان لينين، الذي اعتقد في عام ١٩١٧ أن الدولة العمالية يجب أن تكون مصــممة بحيث تبدأ في التلاشــي في عام ١٩٢١، يعتقد أن الدولة التي يديرها الحزب البلشفي هي وحدها القادرة على تطوير الثورة الاشتراكية.

في كانون الثاني ١٩٢٤ توفي لينين وبدأ ستالين في تعزيز سلطته على الحزب الشيوعي (تم تغيير اسم الحزب البلشفي إلى الحزب الشيوعي في ٨ آذار ١٩١٨) بينما قام بتدمير برنامج حزب لينين ومعاييره وقيادته. أثبت تروتسكي أنه الزعيم الوحيد للحزب الذي خاض معركة للحفاظ على تراث الحزب البلشفي والثورة الاشتراكية الروسية، ولا سيما نظرية لينين عن الحزب الطليعي التي أصبحت حجر الزاوية للأممية الرابعة التي أسسها في عام ١٩٣٨ (تروتسكي ١٩٣٨). كما قدم تروتسكي تفسيرًا لانحطاط الثورة الاشتراكية الروسية وصعود الستالينية باعتبارها التمثيل الأيديولوجي للطبقة البيروقراطية التي نشأت في روسيا السوفيتية الفتية (تروتسكي ١٩٣٦). كتب تروتسكي:

> إن المبدأ الحالي القائل بأن البلشفية لا تتسامح مع الفصائل هو أسطورة انحطاط العصر. في الواقع، تاريخ البلشفية هو تاريخ صراع الفصائل. وبالفعل، كيف يمكن لمنظمة ثورية حقيقية، تضع على نفسها مهمة الإطاحة بالعالم والتوحيد تحت رايتها لأكثر محاربي الأيقونات والمقاتلين والمتمردين جرأة، أن تعيش وتتطور بدون صراعات فكرية، بدون تجمعات وتشكيلات فصائلية مؤقتة؟ إن بُعد نظر القيادة البلشفية غالبًا ما جعل من الممكن تخفيف الصراعات وتقصير مدة الصراع بين الفصائل، ولكن ليس أكثر من ذلك. واعتمدت اللجنة المركزية على هذا الدعم الديمقراطي الهائل. ومن هنا استمدت الجرأة في اتخاذ القرارات وإعطاء الأوامر. إن صحة القيادة الواضحة في جميع المراحل الحرجة أعطتها تلك السلطة العليا التي تمثل رأس المال الأخلاقي الذي لا يقدر بثمن للمركزية. (تروتسكي ١٩٣٦.)

وأضاف:

> إن مركز اهتمام لينين وزملائه كان يشغله الاهتمام المستمر بحماية صفوف البلاشفة من رذائل من هم في السلطة. ومع ذلك، فإن التقارب غير العادي، وفي بعض الأحيان الاندماج الفعلي للحزب مع جهاز الدولة، قد ألحق بالفعل في تلك السنوات الأولى ضررًا لا شك فيه بحرية ومرونة نظام الحزب. لقد تم تضييق نطاق الديمقراطية بشكل متناسب مع زيادة الصعوبات. في البداية، كان الحزب يرغب ويأمل في الحفاظ على حرية النضال السياسي في إطار السوفيتات. أدخلت الحرب الأهلية تعديلات صارمة على هذا التقدير. تم حظر أحزاب المعارضة واحدا تلو الآخر. وهذا الإجراء، الذي يتعارض بشكل واضح مع روح الديمقراطية السوفييتية، لم ينظر إليه قادة البلشفية كمبدأ، بل كعمل عرضي للدفاع عن النفس. (المرجع نفسه)

وأوضح تروتسكي كيف استخدم ستالين هذه القرارات المؤقتة المناهضة للديمقراطية كزعيم للطبقة البيروقراطية الصاعدة باسم "اللينينية" كمكمل لـ "نظريته" حول الاشتراكية في بلد واحد. "إلى جانب نظرية الاشتراكية في بلد واحد، نشرت البيروقراطية نظرية مفادها أن اللجنة المركزية في البلشفية هي كل شيء والحزب لا شيء. وعلى أية حال، فقد تحققت هذه النظرية الثانية بنجاح أكبر من الأولى." (المرجع نفسه)

وهكذا، أصبحت أحزاب الأممية الشيوعية تسلسلات هرمية بيروقراطية، وحيثما وصل الستالينيون إلى السلطة، أنشأوا دول الحزب الواحد التي أبقت الحياة السياسية للبلاد تحت سيطرتها.

وفي كوبا، تزامنت النظرة الستالينية للحزب الحاكم المتجانس مع تقدير فيدل كاسترو لحزب خوسيه مارتي Jose Marti الموحد لمحاربة الاستعمار في القرن التاسع عشر. لا يوجد أي دليل على أن تشي جيفارا شكك على الإطلاق في هذا النموذج من "الدولة العمالية."

تكتب يافي دون انتقاد أنه على الرغم من أن جيفارا كان يعلم بوجود اختلافات أيديولوجية بين الكوبيين، إلا أنه يعتقد أنه سيتم حلها مع تطور الثورة "حتى يفهم الجميع أن الاشتراكية كانت مرحلة جديدة للإنسانية... هناك خياران أمام العمال: دمج أنفسهم في الثورة، أو الرحيل والاستمرار كما كانوا خارج البلاد." (Yaffe 2009, p. 133).

لو كان جيفارا على قيد الحياة اليوم، لكان سيعلم أنه "ما لا يقل عن ٤٢٥ ألف كوبي يتراصون في موانئ الدخول الأمريكية في العامين الماليين ٢٠٢٢ و٢٠٢٣، وفقًا لهيئة الجمارك وحماية الحدود، وأن ٢٠٠,٢٨٧ منهم وصلوا في السنة المالية ٢٠٢٣، التي انتهت في سبتمبر." (Bazail-Eimil 2023)

اشتراكية تشي جيفارا

ولد إرنستو جيفارا في روزاريو Rosario، الأرجنتين، في ١٤ حزيران ١٩٢٨. كان الابن الأول من بين خمسة أطفال لإرنستو جيفارا لينش وسيليا دي لا سيرنا إي يوسا Ernesto Guevara Lynch and Celia de la Serna y Llosa. منذ الطفولة كان يعاني من شكل حاد من الربو. ومع ذلك، فهو لم يدع ذلك يعيق طريقه في الحياة. عندما كان شابًا، كان يلعب لعبة الركبي rugby، وهي رياضة تتطلب جهدًا بدنيًا. ومن ١٩٤٥ إلى ١٩٥١ درس الطب في جامعة بوينس آيرس. من كانون الثاني إلى تموز ١٩٥٢، قام هو وزميله في المدرسة ألبرتو غرانادو Alberto Granado بزيارة بيرو وكولومبيا وفنزويلا. في البيرو، تطوع الطبيبان الشابان في مستعمرة للجذام تقع في جزيرة صغيرة وسط نهر الأمازون، لفصل المرضى (على الرغم من أننا نعلم الآن أن المرض الذي تسببه البكتيريا لا ينتشر بسهولة). ظهرت بعض السمات الشخصية لجيفارا التي ساهمت في وجهات نظره حول الاشتراكية هناك. وبينما كان مطلوبًا من الطاقم الطبي ارتداء القفازات عند الاتصال بالمرضى، رفض جيفارا ذلك. كان يكره أي شيء يعزل المرضى أو يعزلهم ويقيم علاقات ودية معهم. عندما كان في الكونغو، أدرك جيفارا أن المتمردين هناك حفاة. وأمر مجموعته من المقاتلين الكوبيين بخلع جزمهم. في أمريكا اللاتينية، شهد جيفارا الشاب الأمريكيين الأصليين الذين تم طردهم من أراضيهم إلى فقر مدقع، مما أجبرهم على التسول من أجل العمل الشاق في المناجم. وهكذا أدرك تأثير الاستعمار على السكان الأصليين والشركات الرأسمالية في نهب أمريكا اللاتينية.

في الفترة من كانون الثاني إلى حزيران ١٩٥٤، كان جيفارا في غواتيمالا. بسبب عدم قدرته على العمل كطبيب، عمل جيفارا في وظائف وضيعة لإعالة نفسه. وفي الوقت نفسه، بدأ بدراسة الأدبيات الماركسية وانخرط في السياسة اليسارية. في ١٧ حزيران ١٩٥٤، أطاحت وكالة المخابرات المركزية بحكومة جاكوبو أربينز Jacobo Arbens القومية. غادر جيفارا، الذي كان يواجه احتمال الاعتقال، إلى المكسيك.

التقى بفيدل كاسترو في المكسيك وانضم إلى مجموعته الصغيرة من المقاتلين الذين خططوا لبدء حرب عصابات ضد حكومة باتيستا. في البداية تم تعيينه كطبيب لمجموعة المقاتلين، وحصل على [تدريب] عسكري. بعد هبوطه في كوبا، ميَّز جيفارا نفسه كزعيم لحرب العصابات وتم تعيينه كقائد لطابور تم تشكيله حديثًا. هناك أطلق عليه المقاتلون الكوبيون لقب "تشي"، وهي كلمة إسبانية أرجنتينية وهي لغة عامية مرحب بها.

في تموز ١٩٦٧، التقى جيفارا مع المقاتلين الكوبيين في بينار ديل ريو Pinar del Rio في كوبا للتخطيط لحملة حرب العصابات في بوليفيا. وفي نوفمبر من نفس العام، دخل بوليفيا بهوية مختلفة. في ١٦ أبريل ١٩٦٧، تمت قراءة رسالة جيفارا في مؤتمر القارات الثلاث، حيث دعا إلى "فيتنام واحدة، اثنتان، العديد من الفيتناميات!"

وفي تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٦٧، أصبحت مجموعته الفدائية معزولة. وحاصرهم آلاف الجنود بمساعدة مستشارين أمريكيين. تعرض جيفارا و١٧ من مقاتليه لكمين، مما أسفر عن مقتل العديد منهم وإصابته هو. في ٩ تشرين الأول ١٩٦٧، وبإشارة من واشنطن وبأمر من الحكومة البوليفية، قُتل جيفارا. في ١٥ تشرين الأول، أكد فيدل كاسترو وفاة إرنستو تشي جيفارا. وفي ١٨ تشرين الأول، تجمع مئات الآلاف من الكوبيين للاحتفال بحياته، وولد شعار "سنكون مثل تشي." وفي عام ١٩٩٧ تم اكتشاف رفات جيفارا في بوليفيا وتم نقلها إلى كوبا. في سانتا كلارا، تم بناء نصب تذكاري أنيق له. وفي سانتا كلارا، هزَّمت كتيبة تشي كتيبة مسلحة أكبر كثيرًا من جيش باتيستا في كانون الأول من عام ١٩٥٨. وساهم هذا النصر في اتخاذ باتيستا قراره بالفرار من كوبا في الأول من كانون الثاني عام ١٩٥٩.

إن اشتراكية جيفارا ذات طابع إنساني عميق. ساهم بعنصرين رئيسيين في نظرية الاشتراكية. أولاً، قام بتجديد رؤية ماركس للاشتراكية باعتبارها عملية إزالة اغتراب الإنسانية. ثانيا، على عكس ماركس أو على الأقل القراءة القياسية

لماركس، نظر جيفارا إلى الاشتراكية ليس كمجتمع الوفرة ولكن كمجتمع تحدث فيه التنمية البشرية وتحقيق الذات. ولهذا السبب كان العمل التطوعي محوريًا في نظريته وحياته. وكان جيفارا أيضًا مثاليًا في ممارسة ما يبشر به.

قدم جيفارا مساهماته في نظرية وممارسة الاشتراكية في فترة وجيزة مدتها ١٣ عاما — منذ تحول إلى الراديكالية السياسية في غواتيمالا في عام ١٩٥٤ إلى وفاته على أيدي عملاء الرأسمالية والإمبريالية عن عمر يناهز ٣٩ عاما في عام ١٩٦٧. كان سيهتم بالتوترات في مساهماته النظرية لو أنه عاش حياة أطول.

عدة مرات عندما زرت كوبا، رأيت تلاميذ المدارس وهم يهتفون "سنكون مثل تشي." ولعل جيلاً جديداً سينهض ليتعلم من مثاله ويكون مثل تشي.

إن مستقبل البشرية سيعتمد عليه.

المراجع

- Alpert, Michael, Robin Hahnel. *Socialism Today and Tomorrow*. 1981.
- Bazail-Eimil, Eric. "Record-breaking numbers of Cuban migrants entered the U.S. in 2022-23." *Politico*, October 24, 2023.
- Bettelheim, Charles. "On Social Planning and the Level of Development of the Productive Forces." Pp. 31-59, in Silverman 1971.
- Bernsten, Eduard. Evolutionary Socialism. 1899.
- Castro Ruz, Fidel. "Cuba Is a Socialist Nation," May 1, 1961.
- Devinatz, Victor G. "Lenin as Scientific Manager Under Monopoly Capitalism, State Capitalism, and Socialism: A Response to Scoville." Industrial Relations. July 2003.
- Draper, Hal. "The Principle of Self-Emancipation in Marx and Engels." *Socialist Register*. 1971.
- Economics Institute of the Academy of Sciences of the U.S.S.R. The Manual of Political Economy (1954)
- Engels, Frederick. Supplement to Capital volume 3. 1894.
- Fromm, Erich. *Marx's Concept of Man*. 1961.
- Guevara, Ernesto Che. "The Meaning of Socialist Planning." 1965A, in Silverman 1971, chapter 3)
- _____. Socialism and Man in Cuba. 1965.
- Hollander, Paul. *The Many Faces of Socialism Comparative: Sociology and Politics*. 1983.
- Kapcia, Antoni. In Historical Dictionary of Cuba. 1988. Pp. 261-62.
- Lenin, V.I. *What Is to Be Done?* 1902.
- _____. "Revolutionary Democratic Dictatorship of the Proletariat and the Peasantry." 1905.
- _____. "The Taylor System – Man's Enslavement by the Machine." 1914.
- _____. *The State and Revolution*. 1917.
- _____. "The Immediate Tasks of the Soviet Government." March-April 2018.

- _____. "On The Syndicalist and Anarchist Deviation In Our Party." March 13, 1921.
- _____. "On Party Unity." March 16, 1921.
- _____. "Preliminary Draft Resolution of The Tenth Congress of The R.C.P." March 1921A.
- _____. "The New Economic Policy and The Tasks of The Political Education Departments." October 1921.
- Mandel, Ernest. *Marxist Economic Theory*. Volume 1. 1962.
- _____. *Marxist Economic Theory*. Volume 2. 1962.
- _____. "Mercantile Categories in the Period of Transition." 1963, in Silverman 1971.
- Miéville, China. *October: The Story of the Russian Revolution*, 2017.
- Marx, Karl. *Economic and Philosophic Manuscripts of 1844*. 1844.
- _____ . *Critique of the Gotha Program*. 1875.
- _____ . *The General Rules of the International Workingmen's Association*. October 1864.
- Marx, Karl and Frederick Engles. *The Communist Manifesto*. 1848.
- Mohun, Simon. "Value," in *Dictionary of Marxist Thought*. Editors: Tom Bottomore, Laurance Harris, V.G. Kienan, Ralph Miliband. 1983.
- Nayeri, Kamran. *Whose Planet? Essays on Ecocentric Socialism*. 2023.
- _____. "The Political Thoughts of Fidel Castro." *Our Place in the World: A Journal of Ecosocialism*. April 19, 2024.
- Rubin, I. I. Essays on Marx's Theory of Value. 1928/1972.
- Scoville, James G. "The Taylorization of Vladimir Ilich Lenin." Industrial Relations. December 17, 2002.
- Service, Robert. "The Bolshevik Party." In *Critical Companion to the Russian Revolution 1914-1921*. Editors: Edward Acton, Vladimir Iu. Chernniaev, and William G. Rosenberg. 1997.
- Silverman, Bertram. *Man and Socialism in Cuba: The Great Debate*. 1971.
- Stalin, Joseph. *Economic Problems of Socialism in the USSR*. 1951.
- Steedman, Ian. "Abstract Labor," in *Dictionary of Marxist Thought*. Editors: Tom Bottomore, Laurance Harris, V.G. Kienan, Ralph Miliband. 1983.
- Stutje, Jan Willem. Ernest Mandel: A Rebel's Dream Deferred. 2009.
- Suchlicki, Jaime. Historical Dictionary of Cuba. 1988.
- Tiabo II, Paco Ignacio. *Guevara: Also Known as Che*. 1997.
- Toussaint, Eric. "Ernest Mandel, Revolutionary Cuba and Che Guevara." *CounterPunch*, January 12, 2024.
- Trotsky, Leon. Results and Prospects. 1906.
- _____. *The History of the Russian Revolution* (in three volumes) 1930.

- _____. *The Revolution Betrayed: What Is the Soviet Union and Where Is It Going*? 1936
- _____. *The Death Agony of Capitalism and the Tasks of Fourth International*. 1938.
- Wren, Daniel A. and Arthur G. Bedeian. "The Taylorization of Lenin: Rhetoric or Reality?" *International Journal of Social Economics*. 2024.

حواشي ختامية

١. "باختصار: إن قانون القيمة الماركسي ينطبق عمومًا، طالما كانت القوانين الاقتصادية صالحة على الإطلاق، على كامل فترة الإنتاج السلعي البسيط – أي إلى الوقت الذي يتعرض فيه هذا الأخير لتعديل من خلال المظهر. لشكل الإنتاج الرأسمالي. وحتى ذلك الوقت، كانت الأسعار تنجذب نحو القيم المحددة وفقًا للقانون الماركسي، وتتأرجح حول تلك القيم، بحيث أنه كلما تطور الإنتاج السلعي البسيط بشكل أكمل، كلما زاد متوسط الأسعار على مدى فترات طويلة، دون انقطاع بسبب الاضطرابات العنيفة الخارجية، فإن هذه الأسعار تتطابق مع القيم ضمن هامش لا يذكر. ومن ثم فإن قانون القيمة الماركسي يتمتع بصلاحية اقتصادية عامة لفترة تمتد من بداية التبادل الذي يحول المنتجات إلى سلع، وصولا إلى القرن الخامس عشر من العصر الحالي. لكن تبادل السلع يعود تاريخه إلى عصر ما قبل التاريخ المكتوب – والذي يعود في مصر إلى ٢٥٠٠ قبل الميلاد على الأقل، وربما ٥٠٠٠ قبل الميلاد، وفي بابل إلى ٤٠٠٠ قبل الميلاد، وربما إلى ٦٠٠٠ قبل الميلاد؛ وهكذا ساد قانون القيمة خلال فترة من خمسة إلى سبعة آلاف سنة. (إنجلز ١٨٩٤).

٢. على عكس ماركس، أستخدم الاشتراكية بدلاً من الشيوعية. أنا لا أستخدم تمييزه الأدنى والأعلى في مناقشة الانتقال إلى مجتمع غير مغترب، والذي يسميه الشيوعي. وهناك أسباب متعددة لذلك. أولاً، إن المرحلة الدنيا من الشيوعية عند ماركس لا تزال مجتمعًا طبقيًا. ويميل مصطلح الشيوعية إلى إخفاء هذه الحقيقة. ثانيًا، في المناظرة الكبرى، كان التركيز على الانتقال إلى الدولة النهائية، والتي غالبًا ما تسمى الاشتراكية. ثالثًا، الشيوعية communism المكتوبة بحرف "كبير C" تم تعريفها في الأدبيات والخطاب العام بالستالينية. لذا فإن استخدام مصطلح الدولة العمالية كأداة للانتقال من مجتمع ما بعد الرأسمالية إلى الاشتراكية هو أكثر دقة وأكثر انتشارًا في الأدبيات.

٣. مات ما يقدر بنحو ٣ ملايين فلاح وعامل وجندي روسي في الحرب العالمية الأولى، وتضرر جزء كبير من القدرة الإنتاجية.

* كامران نايري، ناشط وكاتب منذ فترة طويلة في مجال الاشتراكية البيئية، ويدير مدونة "مكاننا في العالم: مجلة اشتراكية بيئية" على موقع forhumanliberation.blogspot.ca.

Kamran Nayeri is a long-time activist and writer on ecological socialism, and maintains the blog Our Place in the World: An Ecosocialist Journal at forhumanliberation.blogspot.ca.

** مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على الرابط التالي:

https://socialistproject.ca/2024/05/economic-and-political-thoughts-of-ernesto-che-guevara/

https://socialistproject.ca/about/

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
http://iraqieconomists.net/ar/

23/6/2024